

## أفكار متقاطعة

من وحي وحشية «داعش» البهيمية (1)

# تأملات في أصل العنف وطقوسه

■ جورج كعدي

العدوانية لدى معظم الحيوانات هي عدوانية طقسية rituel. ولدى الإنسان، كذلك، بعض الطقوس والرموز قبل «المعركة»: القبضة مرتفعة في حركة تهديد (السيف) المصلت فوق الرقاب في حالة «داعش» أو المسدس المصوب إلى الرأس)، والنظرات تقذف ناراً منصبة على الخصم، فضلاً عن الصراخ والشتم والاندفاع إلى الأمام.

يرى فاستو أنطونيني في مؤلفه البديع «عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية» (نقله إلى العربية في دقة واقتدار الأستاذ نخله فريرف لسمعهد الإنماء العربي) أنه يمكن النظر إلى العدوانية على صعيدين مترابطين على نحو متباين، الصعيد الفردي والصعيد الجمعي Collectif. فعلى الصعيد الفردي يسعد القول إن الإنسان العاقل homo sapiens تطوّر انطلاقاً من قرد كان يقاتل بالأعشاب في حالته البدائية، ثم باللحوم، في ما بعد (تطوّر «داعشي» بامتياز). وحدثت عملية تحوّل هذا القرد على الأرجح في وسط أفريقيا (وتكرست اليوم على أرض «دولة الإسلام في العراق والشام») بحسب ما تشير الأبحاث الأحدث، وتنتج عملية التحوّل تلك، التي أدت إلى ولادة الإنسان، من فترة الجفاف الطويلة التي أرغمت سكان الغابات على التكيف والتأقلم مع حياة السهوب، لو شأوا والبقاء على قيد الحياة وهكذا تحوّل هذا القرد شيئاً فشيئاً من أكل أعشاب إلى أكل لحوم (لحم بشري، لم لا، في حالتي «داعش» وال«نصرة»)، ومن كائن هادئ لا مسكن ثابتاً له إلى كائن يتقن القتل وأمين مكان آمن يؤويه... تلك الحالة الجديدة طوّرت عضلات السابقين. إذ كان عليه أن يعدو على الأرض للحاق بطريدة أو للهرب أو للصيد، بينما ضعفت عضلات الذراعين، إذ لم يكن عليها أن تحمل الجسم في تنقله من غصن إلى آخر، وأصبح شعر البدن أيضاً نادراً (على عكس اللحي «الداعشية») لأنه كان معوقاً ومزعجاً في فترات الجري الطويل وفي السباحة، وأضحى استعماله السلاح البدائي أمراً ممتكناً بل ضرورياً كي يستطيع هذا الحيوان، الذي تنتقصه الأسلحة الطبيعية النوعية، أن يتنافس مع أكبر آكلة اللحوم في المعركة لأجل البقاء.

يقول الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي غبريال تارد Tarde (1843 - 1904): «بين الحدق والعبادة، بين الرعب والحماسة، بين الهتافات وصيحات الموت... ليس هناك أي حدّ وسط بالنسبة إلى الجماعة»، فوضع الجماعة من وضع قطعان الحيوانات. الجماعة طارئة وموقّفة ولها أهدافها التدميرية المباشرة والخاطفة. فالعصابات المسلحة (مثل «داعش» و«إسرائيل») والقبائل المتمرّدة العدوانية (عربان العربية، قبل النقط، علما أن الترحّل لا يبارح تكوين الشخصية الأصلية) تشبه القطعان والجماعات، الذي الجمهور فيه المنسقة عن القطيع، النسخة المتأنسة humanisée والمتعلقة rationalisée، والمتمبرجة Systématisée، والمتحوّلة إلى مؤسسة institutionalisée. ذاك هو التساوي العدواني والدفاعي، التساوي الأساسي الذي يقوّب بين

القطيع والجماعة والجمهور. إن تشكّل الجماعة ليس إلى حدّ ما حدثاً «طبيعياً»، بالنسبة إلى الإنسان، لكننا لا نستطيع إقامة الدليل على قولنا هذا، إذ لا شيء طبيعياً في الطبيعة، وكل شيء مع ذلك طبيعي. فهل الإنسان العاقل، أي القرد آكل الأعشاب هو أكثر «طبيعية» من الإنسان العاقل، أي القرد الكبير العاري آكل اللحوم، أم هذا أكثر «طبيعية» من ذاك؟ الإنسان وحيداً قد يخاف، أمّا الإنسان . الجماعة L'homme-foué والناس . الجمهور -hommes masse فإنهم يشعرون بقواهم تتضاعف ويحورون نحو خطير في اتجاه العدوانية والمجهول والتهور. ويشار هنا إلى أنّ المجتمعات التكنولوجية الحديثة المتطوّرة تمجّد إلى أقصى حدّ كل ما هو جماعيّ وتقلّل من أهمية كل ما هو فرديّ. كما أنّ التصويب على الفرد وتعزيز روح الجماعة وروح الجمهور يؤدّيان إلى تحريك العدوانية. ولاحظ يونغ أنّ الشعور بالذنب يغزو كياننا، ليس إثر القيام بعمل ممنوع (نرتكبه أو نرغب فيه) فحسب، بل أيضاً عندما لا نتوصّل إلى تحقيق الذات، وبغضى إلى العنف وأعمال القوّة. وفي شعور الذنب هذا يولد نوعاً من العدوانية يصعب تحديدها. إنّ خلق الإنجازات الفردية يثير، بدلا منها، ظهور قوى جماعية قديمة، وبروز تصوّرات سلفية وعرقية وقاتلية ودفاعية وهجومية، وبغضى إلى العنف وأعمال القوّة. في الواقع، يولد التجمّع rassemblement إحساساً بالقوقم والعنف واللامسؤولية. التجمّع يجعل عدوانية بعض الأفراد المقموعة تتلقت من قيودها، فالتجمّع يولد ويجزّر في الوقت نفسه التوتّرات المترابطة الناتجة من خلق الطاقات الفردية ويحيي أشكالاً لا واعية من العنف والعدوانية.

ثمّة مثل مثير يساق حول عدوانية الجماعة: نرى كيف يتحوّل جمهور مباراة في كرة القدم حين تشتدّ المباراة، ففي بدايتها أو في المراحل التي لا تكون المناسبة بلغت أشدها فيها نرى أنّ الجمهور ليس سوى تجمّع من الأفراد المنعزلين نفسياً من دون أيّ علاقة تربطهم، لكن مع اشتداد المنافسة تتصاعد حماسة المجموعة إلى مستويات خطيرة أحياناً شهدتها الملاعب العالمية وتتراوح بين الهستيريا والتأفان والتضارب والركاب أوحش أفعال العنف والعدوانية... هذا في مباراة رياضية، فما عساهما الحال في حروب وصراعات بين جيوش ومجموعات؟!

ليست مصادفة أن يترافق إعلان الحرب مع تظاهرات شعبية حماسية، مسعورة وهستيرية. السماح بالقتل يلقي صده لدى الشعب، إذ يُحدّث تطابقاً مباشراً (رغم أنّ تطابق عابر وهمي) بين الهو والأنا الأعلى. علما أن حماسة الحرب تختفي بطريقة أو بأخرى، فجأةً ومن دون مبرر، تماماً مثلما نارت فجة. ويمكن أفعال تعتبر نوعاً من الشتم الجنسي الذي يعقبه ارتخاء (الليست هذه تماماً حالة المجتمع «الإسرائيلي» الذي يتحمس للعدوان والقتل الفلسطينيّ ثم تنطفئ بعد أيام أو أسابيع حماسه فيوقف فجأةً عدوانه؟)...

## الأدبية كوثر خليل تدخل عالم الرواية وتعتبرها الأكثر قدرة على التعبير

دمشق - محمد الخضر وسامر الشغري

تدخل الأدبية الشابة كوثر خليل عالم الرواية بخطى واثقة، منذ روايتها الأولى الصادرة حديثاً «رجل فوق السحاب»، لتجد في الرواية عملاً ثقافياً يعكس واقع المجتمع، فهي الأقدر على التعبير عما يجول في النفس. تقول: أقدمت على كتابة الرواية رغم معرفتي المسبقة بأنها خطوة ليس سهلة وتحتاج إلى الكثير من المعرفة والثاني وتراكم الثقافات، لذا عدت إلى قراءة العديد من تجارب الكتاب العرب والعالميين الروائية مثل أحلام مستغانمي ومدوح عزام وإبراهيم نصر الله وماريو فارغاس بوسا وبيلزك وماركيز، ووجدت أنني قادرة على صوغ ما هو بداخلي مطلقاً بصوغ أولئك الكتاب والأدباء ما في دواخلهم. ورغم أنني أكتب النص المنثور، فضئت نشر الرواية، فالنثر يحتاج إلى تأنٍ ليتمكن من فرض حضوره، إضافة إلى أن القاعدة الشعرية للقرء تفضل دوماً الإبداع الأدبية على النثر، وهذا ينعكس على تعامل دور النشر مع الكتاب والأدباء ونشر ما لديهم من أعمال». ترى الأدبية الشابة أن الرواية أنثيت وجودها على صعيد الحضور الأدبي وتمتكت من تخليد مراحل الحياة وتوثيقها، وإن خضعت معظم الأحيان لرؤية الكاتب وسلوكه الفني والأدبي والتربوي. وتوضح أنها اعتمدت في روايتها الأولى على الأسلوب السردي الذي تطفلي عليه اللغة الشعرية، نتيجة تأثرها ببعض الكتاب الذين سلكوا هذا الاتجاه، خاصة أحلام مستغانمي، فاللغة التي يستخدمها الروائي هي أكثر الأدوات قدرة على خلق رابط عاطفي بين النص والملق، إضافة إلى تأثرها بالكتابة إزابيل الليدي، ما أضف لها قدرة على السرد.

تعالج خليل في روايتها القضايا الاجتماعية الناجمة عن تداعيات الأزمة وما تفرضه الظروف من حالات قاسية تباعد ما بين الإحبة وتفكك العلاقات الاجتماعية، معتبرة أن العلاقات العاطفية في الدول الروائي ينبغي أن تخدم سياق الحوادث لا أن تحشر فيها دون أن تخل بمستوى العمل الأدبي. حول الأسلوب الذي اعتمدته في بناء الرواية تقول خليل: «اعتمدت في أسلوب الروائي السرد على حساب الأسس الأخرى المكونة للرواية، رغم وجودها، إذ كنت أرغب في الإمام بمعظم الجوانب التي تحرك الأبطال، وفي النتيجة يظل المستوى الفني الرواية الأهم وإن تكن ثمة قوّمات تتنامى على حساب أخرى. إن الكتابة عمل انقلابي وفوري، حتى لدى المرأة، وكثيراً ما تكون الكتابة في حياة اجتماعية مقلقة تعيش عادات وتقاليد موروثية تضع أمامها محرمات تحظر عليها تجاوزها، لكن الكتابة عندما تتناول قضايا المجتمع سوف تخترق المحظورات وتتجاوز المحاذير وتأتي بالنتائج التي تراها مناسبة من وجهة نظرها. والعمل الأدبي الذي يتجاوز العادات يكون صحيحاً ونجاحاً في حال اعتمد الكاتب ثقافات سليمة وقدم خلاصة إيجابية عن الرواسي المغلوطة، ما يؤهله للعب دور ريادي ومهم في مجتمعه. في وسع الكاتب ألا يتكفي بالسياسيات، بل يمكنه أن يشير إلى ما في المجتمع من علاقات اجتماعية إيجابية ومنظورة توكب الحضارة، وعليه أن يجد السبل التي تجرد هذه الإيجابيات وتسعي إلى تعزيزها وتعظيمها من غير أن يشعر القارئ باحيزان الكاتب إلى هذه الفكرة دون سواها».

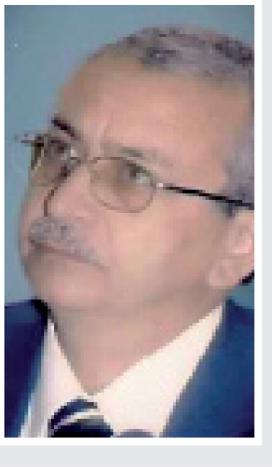
من خلال محيطها، فضلاً عن تشجيع الأهل، امتلكت خليل أدوات الكتابة والنشر، فما لم تجد الموهبة محفزاً قد تختفي من نص صاحبها ليحرم المجتمع من موهبة وأعادة قائمة. عن الرواية السورية تقول خليل: «إن الرواية في بلدنا تجاوزت كثيراً من الأدب الأخرى وحصصت الجوائز عربياً وعالمياً، وثمة هناك كتاب يعطون دفعاً للادباء الشباب مثل الروائي حسن حديد في رواياته وأهمها «جسر بنات يعقوب» ورواية «صخرة الجولان» للدكتور علي قلعة عرسان وسواهما، متمنية على المؤسسات السورية أن تساهم المزيد في استقطاب الروائيين الشبان، فسورية التي كانت منبع الحضارة وبيداتة الأبجدية تمك رسيداً ثقافياً وأدبياً لا مثيل له ولا ينقصه سوى الاهتمام بالموهبات الواعدة. تختم قائلة: «لكون أعزف الأكواديون والبيانو، أرى أن ثمة علاقة تماثل بين العزف والكتابة، عبر الإحساس فحسب، إلا أن الوسائل التعبيرية تختلف بينهما، ولاضير في اعتبار العزف قيمة ثقافية عليا تنافس الأدب وتصل إلى مستواه، فأننا أعير عن كثير من خلجات روحي حين أعزف مقطوعة موسيقية».

## البناء

«التطبيع والمطبيعون» موسوعة في أجزاء ثلاثة لرفعت سيد أحمد

# أسرار العلاقات المصرية - الإسرائيلية

## بعد كامب ديفيد في المجالات كافة



في هذا العمل الموسوعي الكبير يقدم د. رفعت سيد أحمد خلاصة عمله ويحنه الذووب في قضايا الصراع العربي - الصهيوني التي امتدت من الفاتنات حتى اليوم: يقدم أسرار العلاقات المصرية - الإسرائيلية التي حصل فيها التطبيع (سياسية - اقتصادية - ثقافية - إعلامية - اجتماعية - أمنية- إلخ). ووزعها على أبواب التوثيق والتحليل، ومن الفرز الدقيق لعشرات الوثائق الكبيرة وهم الأستاذة فاروق العشري، عبد القادر ياسين، محمود عبده، إيهاب شوقي، د.فحى حسين، محمد قاياتي، د. علي أبو الخير، محمد دنيا، محمود سامي، أسامة عبدالحق، فهدم كل التقدير والاحترام على جهودهم وأبحاثهم ومساهماتهم الفذة.

إن «التطبيع» يعني في اللغة إعادة العلاقات لتكون مرة أخرى طبيعية بين أفراد أو جماعات أو دول، وهذا الأمر غير صحيح بالنسبة إلى الحالة المصرية - الإسرائيلية، فلا كانت هناك علاقات طبيعية بينها لكي تتم إعادة ثانية أو تطبيعها مرة أخرى، بل كان هناك عداء دائم وصراع مستمر بين أصحاب حق في مواجهة قوى الباطل الراكبة في الهيمنة والاحتلال، ومن هنا تصبح كلمة «إخراق» أو هيمنة هي الأق في مجال وصف العلاقات المصرية - الإسرائيلية، لكننا سنستخدم هنا تجاوزاً وتماشياً مع ما صار لفظاً شائعاً ومستخدماً في الأدبيات السياسية المصرية، وتحديداً أدبيات الصراع العربي - الصهيوني، مع إدراكنا لحقيقته وجوهريه.

إن هذا العمل الذي بين أيدي القارئ العربي، ليس كل حوادث ووقائع ووثائق «التطبيع» لأنها في الواقع إذا ما رصدت ووثقت فسوف تصل إلى أضعاف صفحات هذا العمل (الذي اقتربت صفحاته من الـ 2500 صفحة)، لكن ما بين أيدينا هو «بعض» و«جزء» من كل، حاولنا قدر استطاع أن يكون مختاراً لأهم الوقائع والحوادث، فالقضية أكبر وأوسع وأكثر فراءً وتعقيداً، وكانت لعدد من باحثينا ومثقفينا مساهمات رائدة فيها منذ لأمد بعيد أرجل الصهاينة أرض مصر وسيرد ذكرهم في فناء البحث، فلن سيقفنا في هذا المصراع البحثي والجهادي كل التقدير، ولكن لا تزال هذه القضية تحتاج إلى أعمال وجهد

أخرى تحسبها آتية - إن شاء الله - من باحثين ومفكرين وطنيين يعلمون جيداً حقيقة هذا الصراع ومستهدفاته، ويعملون بإخلاص على مقاومته بالمرعة وبالبدعوة إلى الجهاد ضد، بالكلية والعمل، فتحية لهم ولمن سيواصل الطريق.

إن هذه الموسوعة، تسعى إلى أن تكون لبنة في بناء حائط صد ضد الهجمة الصهيونية - الأميركية على العقل والثقافة والاقتصاد والسياسة العربية المستقلة، استعمار والهيمنة التي كانت «المقاومة» لمشاريعها هدف «إسرائيل» من خلال علاقاتها «التصارعية» (1948 - 1977) أو التصلحية (1977 - 2014) إلى عزل مصر وتحجيبها والهيمنة على قرارها المستقل وتحويلها إلى مجرد دولة ثانوية بلا تأثير، في محيطها العربي والإسلامي. والغريب أنها وفي ثروة الصراع والحروب لم تنتج في هدفها هذا، لكنها بما سعى «بالسلام» والتسوية والعلاقات الاقتصادية والسياسية أو بما اصطلح على تسميته بالتطبيع نجحت على الأقل على مستوى القيادة الحاكمة، وإن استعصى عليها الشعب بنخبته طيلة ما يزيد على 37 عاماً من التطبيع في شؤون الحياة المصرية كافة، وبعد ثورة 25 يناير فوجئت «إسرائيل» قبل غيرها (وتقصص بغبرها هنا واشطنن على سار في ركاها من نخب ودول إقليمية ودولية)، بأن هذا الشعب الذي أرادت إخترافه وتعريته وعزله والهيمنة عليه من خلال «التطبيع»، وما ارتبط به من المعونة الأميركية (2.1 مليار دولار سنوياً) ثار عليها وأحرق سفارتها مرتين، وفجر خط الغاز الموصل إليها بأبخس الأجر ستة عشر مرة في العامين التاليين للثورة، فوجئت «إسرائيل» بكبح العداء الشجبي لها وبنوعه بعد ثورة أولى في (2 يناير 2011 على من أسمته بكنزها الاستراتيجي (حسني مبارك)، وبعد ثورة ثانية (30/6/2013) على تفاهتها كادت أن تتعلم مع بعض قوى ما يسمى بالإسلام السياسي لخلق شرق أوسط «إسرائيلي» - أميركي جديد بقشرة إسلامية، يضمن بقاء «إسرائيل» وقوة العلاقات معها، فوجئت بل أنيب وواشنطن، ومن دار في قلبها من هذا الشعب، وتلك «الروح» التي عادت إليه رافضة «التطبيع» بقوة رفضها الاستبداد وسياسات الإفقار والكيان غير الكريم.

إن قصة «التطبيع» بين الكيان الصهيوني ومصر إذن مركبة ومتراكمة الأبعاد والدلالات، ولا تزال مستمرة وإن بدت في الآق دلائل نهايتها، بعد ثورتي (2 يناير 30 يونيو وهي قصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضايا مصر الاجتماعية والديمقراطية والسياسية، وقضايا الوطن العربي على تنوعها وتعقدها. «التطبيع» أو العلاقات المصرية - الإسرائيلية»، الذي بدأ بزيارة السادات للغدس في تشرين الثاني 1977 ولا يزال مستمراً حتى اليوم يحتاج إلى إعادة فتح للملفات وإعادة قراءة لما بداخلها من أسرار وحقائق، ومن خلال فرزها وتقديمها نستطيع أن نرسم خريطة صحيحة للمستقبل، فلا مستقبل لمصر (ومن ثم للعالم العربي) من دون موقف واضح وجذري من العدو الصهيوني، ولا مستقبل لمصر من دون مراجعة دقيقة وحاسمة لاتفاقيات كامب ديفيد (1978) ولمعاهدة السلام المصرية «الإسرائيلية» (1979) بما يتفق وحاجات الأمن القومي «الحقيقي» للبلاد وليس الأمن «الشخصي» للحكام الذين ربطوا - ولا يزالون - أنفسهم بهذا السلام المذل مع الكيان الصهيوني.

لأجل المستقبل أعدنا هذه الموسوعة عن العلاقات المصرية - الإسرائيلية» في اثنين وثلاثين عاماً (1979-2011). أعدناها ليس فحسب بهدف الاستفراق في المجال العلاقات مع هذا العدو التاريخي لإمته، والتي من دون تديرها والتعلم منها، لن نبني وطناً جراً في إرادته واختياراته، وأعبا يخنق الأعداء جيءاً، مدركا سبل ومواجهتها والتغلب عليها.

وسيلنا إلى فتح ملفات التطبيع بين مصر وإسرائيل»، تحتاج إلى أكبر قدر من الموضوعية (وليس الحياد إذ لا «حياء» مع قضايا الوطن المصرية، والمقاومة المشروعة للعدو الصهيوني تأتي في مقدم تلك القضايا) أما الموضوعية فهي الدقة، والعلمية والأمانة في نقل الخبر والتعليق عليه، وفي رصد التطورات الاجتماعية والسياسية المرتبطة بهذا الصراع الممتد مع الكيان الصهيوني. إن ما تحاول الموسوعة القيام به هو رصد وتحليل أبرز الحوادث والسياسات والمواقف في العلاقات المصرية - الإسرائيلية» منذ توقيع معاهدة السلام (1979) حتى بدايات الثورة المصرية في 25 يناير

نامل أن تقيد وهي في سبيلها إلى ذلك قسمت إلى ستة أبواب رئيسية، وتتناول الوقائع السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والدينية خلال الفترة 1979 - 2011، وقد تمتد إلى ما قبلها أو ما بعدها بحكم البحث وضروراته، وسبقاها بفصل تمهيدي عن «مقدمات التطبيع» وخريطته الرئيسية التي ستتناولها الموسوعة، وختمناها بفصل ختامي عن التطبيع بعد ثورة يناير 2011، أما أبواب الموسوعة التي وزعت على ستة أبواب فيأها كالآتي:

الباب الأول: التطبيع السياسي (338 صفحة) - الباب الثاني: التطبيع الاقتصادي (384 صفحة) - الباب الثالث: التطبيع الإعلامي (265 صفحة) - الباب الرابع: التطبيع الثقافي (419 صفحة) - الباب الخامس: التطبيع الاجتماعي (218 صفحة) - الباب السادس: التطبيع الديني (228 صفحة) - الفصل الختامي: التطبيع بعد الثورة (95 صفحة).

أما الوثائق المكتوبة فعناوينها كالآتي □ الوثيقة الأولى: محضر لإتجاع كسينجر وغولدا ملنير خلال مفاوضات فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية 1974 - الوثيقة الثانية: نماذج من وثائق المخابرات الأميركية عن عملية السلام عام 1977 (مترجمة ومختصرة) - الوثيقة الثالثة: البيان التأسيسي للحركة المصرية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة «إسرائيل» - الوثيقة الرابعة: نماذج من بيانات وأنشطة اللجنة العربية لمساندة المقاومة في لبنان وفلسطين - الوثيقة الخامسة: القائمة الكاملة لمجازر العدو الصهيوني من 1936 إلى 2012. □ الوثيقة الأولى: نص تاريخي لمجلة «المقتطف» المصرية يعود إلى عام 1898 يتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين - الوثيقة الثانية: صورة فوتوغرافية لترحيب واحضنان وكيل شيخ الأزهر لحاخام «إسرائيل» الأكبر - الوثيقة الثالثة: صورة فوتوغرافية من البيان التأسيسي للجماعة الأميركية في مصر - الوثيقة السادسة: الصورة فوتوغرافية لنماذج من أنشطة اللجنة الحزبية المصرية لمقاومة التطبيع - الوثيقة السابعة: صورة فوتوغرافية من قرارات الجمعية العمومية لنقابة الصحافيين بعدم التطبيع مع الكيان الصهيوني - الوثيقة الثامنة: صورة فوتوغرافية من الرسالة المشهورة المرسلة يوم 2012/7/29 من محمد مرسي إلى شيون بيريز - الوثيقة التاسعة: صورة فوتوغرافية من أنشطة لجان دعم الانتفاضة الفلسطينية - الوثيقة العاشرة: صور الوثائق الأصلية لأنشطة وسائل مسنولى المركز الأكاديمي «الإسرائيلي» - الوثيقة الحادية: صورة فوتوغرافية من الصفحات الأولى من نشرة المركز الأكاديمي الإسرائيلي الداخلية السرية.

## من أسرار التطبيع الثقافي

يمثل التطبيع الثقافي (الذي خصص له باب كامل في الموسوعة) الدعامة الرئيسية لبناء السلام في المنطقة من وجهة النظر «الإسرائيلية»، وهو لديهم أكثر إقناعاً واستقراراً من أي ترتيبات أمنية عابرة مثل المناطق منزوعة السلاح، ووضع جيش أجنبي، وأجهزة الإنذار، وضمانات الدول الكبرى، وهو العامل الحاسم على المدى البعيد، فالصراع يوجد في وعي الشعوب قبل أن ينتقل إلى أرض الواقع، والمطلوب من جانب الصهاينة ببساطة، هو نزع العداء من العقل العربي استكمالا لمحاولة نزع السلاح من اليد العربية، وهي المهمة التي يتكفل بها التطبيع السياسي والأمني.

من وجهة نظر القائم بالتطبيع «الإسرائيلي»، فإن كل «عقدة» ولها حلها لدى «الإسرائيليين»، فإذا كانت مناهج التربية والتعليم السابقة تخضع على الكراهية، فإنه يمكن تغييرها لتشجيع قيم السلام، وإذا عاقت الحقائق التاريخية تصفية الأحقاد يمكن تجاهلها والتزكيز على الجوانب الإيجابية. موقف الإسلام من اليهود أيضاً كان له حل لديهم، فإذا كانت «المفاهيم السلبية»، تسود الدين الإسلامي، يمكن إزالتها! كان العنصر الثقافي واحداً من العناصر الأساسية للمفاوضات بين «إسرائيل» ومصر، وتم تضمينه في اتفاقية الإطار في كامب ديفي، جنباً إلى جنب مع ترتيبات الأمن وإنهاء المقاطعة وفتح الأسواق المصرية أمام المنتجات «الإسرائيلية»، ثم جرى تأكيد وتحديد خطوات المفاوضات بشأنه في معاهدة السلام وملحقاتها. وقد تم توقيع الاتفاقية بين البلدين في القاهرة في 8/5/1980، وفي أول حزيران 1980 صادقت عليها الحكومة «الإسرائيلية»، وتقع في ثمانية مواد تضمن:

• تشجيع التعاون في المجالات الثقافية والعلمية والفنية، وتشجيع الاتصالات وتبادل زيارات الخبراء في المجالات الثقافية والفنية والتكنيكية والعلمية والطبية.

• يسعي الطرفان إلى فهم أفضل لحضارة وثقافة كل طرف من خلال تبادل المعلومات الثقافية والتعليمية والعلمية، وتبادل المنتجات التكنيكية والأفريقية، وتبادل الأعمال الفنية، وتشجيع إقامة الأعمال الفنية، وتشجيع إقامة المعارض العلمية والتكنولوجية ومعارض الفنون المصرية. • تبادل برامج الإذاعة والتلفزيون والتسجيلات والأفلام الثقافية والعلمية.

• تسهيل زيارات العلماء والدارسين والباحثين إلى المتاحف والمكتبات والمؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية والتكنيكية.

• الإنفاق على عمل بروتوكول خاص بتناول المتطلبات الضرورية لمعادلة الشهادات والدرجات التي تمنحها المؤسسات التعليمية لدى الطرفين.

• تشجيع الأنشطة الرياضية بين الشباب والمؤسسات الرياضية لدى الطرفين.

• يعين الطرفان - لتنفيذ الاتفاقية ممثلين لتبني برامج تنفيذية دورية، على أن تتم الاجتماعات بالتناوب لدى الطرفين.

في إطار هذه الاتفاقية تم توقيع عدد من البروتوكولات التنفيذية في المجالات المختلفة، منها الاتفاق بين ممثلي وزارة المعارف والثقافة «الإسرائيلية»، وممثلي المجلس الأعلى للشباب والرياضة المصري، في 25 شباط 1981 بشأن تبادل الوفود الشعبية، وينص على زيارة وفود من الشباب المصريين لـ«إسرائيل»، ويحضر في الوقت ذاته إلى مصر وفد من الشباب «الإسرائيلي»، وكذلك في بداية عام 1982 جرى التوقيع بين إدارة العلاقات الثقافية في وزارة الخارجية المصرية والسفير «الإسرائيلي» في القاهرة موشيه ساسون، على بروتوكول إنشاء المركز الأكاديمي «الإسرائيلي» ليكون بمثابة قناة للاتصالات مع المؤسسات التربوية والعلمية «الإسرائيلية»، وفي 28 كانون الثاني 1982 تم الاتفاق في القدس بين وفد الإذاعة المصرية ووفود من وزارة الاتصالات في «إسرائيل» على منع التشويش المتبادل على الإرسال التلفزيوني، على أن يتم تطبيق هذا الاتفاق تدريجياً، بحيث يتم تطبيقه كاملاً في تشرين الأول 1982.

وفي شباط 1982 وقع ممثلو الإذاعة والتلفزيون «الإسرائيلية» وهيئة الإذاعة في القاهرة بروتوكولاً لتبادل البرامج والتسجيلات والأفلام والمسلسلات. ثم توالى الاتفاقيات والزيارات مع المؤسسات المصرية الرسمية، ونقر قليل من النخبية (التي يطلق عليها «إسرائيليا» لفظ عملاء) حتى لحظات من قيام ثورة يناير 2011.

## من بيروت إلى دمشق

■ يوسف موصللي

يقال لك أحدهم، إنك تشبهين بيروت، إنك لا تشبهين إلا دمشق. قد يقول البعض كيف لك أن تشابه بين حبيبتين (أنت ودمشق) وأنت بعيد عنهما في آن واحد! ذلك يعود إلى ناكسة حبة حفرت فيها روح دمشق مثل خطوط منحنية عميقة وشفافة في ذكرتي، بتأنٍ وجمال وأناقاة. يا عزيزتي، دمشق هي وشقي الشقيقة الأكبر لميلاني. نعم كلناهما جميلة، لكن الكبرى التي تمتع بشخصيتها التاريخية والفتح الحضاري. بلى، بيروت هي عقدة وصل وملقى العالمين الغربي والشرقي، لكن دمشق هي الجوهرة لكل ما هو شرقي وكل ما بني عليه أي عربي. في بيروت العديد من الناس والثقافات التي تأتي وتذهب، ثم تعود إلى أوطانها. أما دمشق فمن يدخلها لا يخرج إلا حاملاً هويتها دمشقية. بيروت مشهورة بحريتها ومساحتها الفكرية الواسعة، تلك التي لطالما عبّر الدمشقيون من خلالها وتنفسوا فيها. لكن تبقى بيروت هي الناشئة الفذّ ودمشق الكاتب بحروف من ذهب.

بيروت هي واحة من الطيران الإنساني والثقافي والسفتي والإبداعي، واحة يحلو للمرء أن يلتقي بهوائها ونسماتها العليلية، هي أغصان مشمرة لشجرة حلقاتها بالألوان وأسماها دمشق. في جميلتي، بيروت هي الفتاة المدللة التي لطالما تألقت وسمع نجمها عالياً، تشبه القمر بجمالها، لكن ألا يأخذ القمر لقه من شمس لا تقيح؟ دمشق هي من يعطني ويحمي ويبعث الدفء والألق عبر جبال لبنان، فتسقط بيروت عاكسة جمالها الداخلي، جمالها الدمشقي. لعلك تشبهين فعلاً ببيروت، فالجمال هو تعريف لك ولها، لكن قلبك كان وسيبقى قلباً دمشقياً. والدمشقيّ يعشق جمال بيروت، لكن لطالما استهوته الأعماق، أعماق الجمال والألق والقوة والحكمة. حبيبي، سادبر لننا موعداً قريباً، أنا وأنت ودمشق في حاراتها وأزقتها، والموعد ليس بعيداً المتعارف فمن لا يعرف من ومن لا يعشق من؟! هو اجتماع لثالوثي المقدس . أنت وأنا ودمشق مدينتنا.